19991124-0001-P

انتهت قبل عشر سنوات الاحداث الامنية، التي مزقت اوصال لبنان على مدى 15 عاماً، اثر توقيع وثيقة الوفاق الوطني في مدينة الطائف. الاّ أن مصير ما يقارب 17 ألف مفقود ومخطوف بين الاعوام 1975 و1989، وفق الاحصاءات الرسمية التقريبية، ما يزال مجهولاً. **سناء الجاك** فتحت مع الامهات والزوجات المنتظرات ادراج الذكريات وخزائن الكلام المبلل بالمأساة وصولاً الى المرحلة الراهنة التي يرفع شعارها اهالي المفقودين وهو «من حقنا أن نعرف».

أهالي 17 ألف مخطوف ومفقود لبناني يصرخون: «من حقنا أن نعرف مصيرهم»

بعد 10 سنوات على انتهاء الأحداث الأمنية لا يزال ملفهم مفتوحا

اعتصام لأهالي المخطوفين في بيروت (تصوير: جوزف ابي رعد)

وداد مراد حلواني التي اختطف زوجها عدنان من المنزل ظهراً في اواخر سبتمبر (ايلول) 1982، بعد الاجتياح الاسرائيلي وسقوط بيروت، تسترجع تلك الحقبة بقولها: «بعد الاجتياح الاسرائيلي وانتخاب امين الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية والاعلان عن دخول لبنان في وتيرة الحياة العادية في حدها الادنى، عدت الى بيروت الغربية التي عاشت ثلاثة اشهر من الحصار، ليجتمع شملي وولدي زياد وغسان بزوجي عدنان الذي رفض مغادرة المدينة خلال الحصار. ولم يكن قد مضى اسبوع على رجوعنا الى منزلنا، حين حضر الى المنزل ظهراً رجلان بلباس مدني وسددا الى رأس زوجي مسدسيهما. سألت ما الامر؟ اجابني احدهم: «لا تخافي، خمس دقائق ويعود. نريد أن نحقق معه بشأن حادث روتيني. من أنتم؟ سألت، جاء الجواب: تحريون. اخذوه. توقعت أن ينتهي الامر بعد حفلة تاديب عادية لتصفية حسابات سياسية نظراً لميوله الوطنية التي تخالف ما كان سائداً آنذاك في ظل الاحتلال الاسرائيلي. لكن الدقائق الخمس استمرت 18 عاماً ولا يزال مصير عدنان مجهولاً».

بعد ذلك بدأ مسلسل المعاناة في حياة وداد مراد حلواني. خافت أن تخبر ولديها زياد (6 سنوات) وغسان (3 سنوات) ان والدهما خطف. قالت لهما انه مسافر الى باريس ليدرس ويحصل على شهادة الدكتوراه. لكن اخفاء الامر لم يستمر طويلاً تقول حلواني «بعد ستة اشهر فاجأني ابني زياد بانه يعرف ان والده مخطوف، واتفقنا أن نخفي الامر عن غسان الصغير».

وتضيف: «انا أطالب فقط بحقي في معرفة مصيره. أحياناً يعذبني ضميري لأني لم أوقف الخاطفين ولو استوجب الامر ان انزل الى الشارع قبلهم واصرخ واجمع سكان الحي، ربما كنت منعتهم من اختطافه».

شعيب: أريد نائباً يتولى قضيتهم

المحامي اميل شعيب أستاذ الحقوق في جامعة الحكمة ببيروت، قال لـ«الشرق الأوسط»: «المبدأ القانوني والانساني يبقي الانسان حياً حتى تثبت وفاته، الا في لبنان، فكل شخص يعتبر ميتاً حتى يثبت العكس». مضيفاً «لا احد يجرؤ على فتح ملف المفقودين. لذا أطالب بنائب شجاع قادر على فتح ملف المخطوفين وتولي قضية الآلاف ممن فقدوا أحباءهم. كما أطالب رئيس الجمهورية اللبناني العماد اميل لحود بأن يرد على الرسائل التي بعثت بها اليه بخصوص هذا الموضوع». واميل شعيب شريك في معاناة أهالي المخطوفين منذ 19 اغسطس (آب) 1985. يقول «منذ ذلك التاريخ لم اعد حياً وكذلك زوجتي» وقبل متابعته الحديث يحضر إميل شعيب صورة ابنه المخطوف «لأن فيها بطل الرواية». اسمه اندريه شعيب حين خطف كان عمره 30 عاماً. حائز 3 شهادات دكتوراه في الاقتصاد والحقوق واللغة الفرنسية. كان استاذاً في الجامعة الاميركية ومسؤولاً كبيراً في مصرف لبنان. وكان على وشك الزواج، لكن خطيبته نسيت وتزوجت بعد فترة». ويعتقد شعيب أن قضية المخطوفين، وابنه من بينهم، ستطول ولن تكشف اسرارها لأن «حاميها حراميها» والملوثون ما زالوا في مراكز السلطة».

أم محسن: أريد ابني ولو جثة

نعيم فايز محسن لم يخطف ليعاقب على ميوله السياسية او لإمكانية استبداله بأسرى من الجانب الآخر، «فقد كان آنذاك في السادسة عشر من عمره»، تقول والدته ام محسن، مضيفة «اثناء حصار بيروت صيف 1982 هربت مع عائلتي الى قريتي «الطيبة» في جنوب لبنان. بعد انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية قالوا لنا إن الحرب انتهت، فعاد زوجي وابني نعيم الى بيروت لتفقد البيت في مخيم صبرا. لكن بشير الجميل قتل، واقتحمت ميليشيا القوات اللبنانية تحت غطاء اسرائيلي مخيمي صبرا وشاتيلا وارتكبت مجزرتها الشهيرة، جالت عناصر القوات على البيوت، اخذوا زوجي وابني وغيرهم ممن بقي على قيد الحياة، وحين وصلوا الى مدخل المخيم تركوا الكبار في السن ونقلوا الشباب بسيارات شحن كبيرة الى المطار في الضاحية الجنوبية بيروت. اتصلت بجميع السياسيين ورجال الأمن من دون استثناء لأطالب بابني، لكن جهودي لم تسفر عن شيء. مات زوجي بحسرة ابنه. وانا لا اعرف طعم الحياة منذ 17 عاماً. اريد ابني ولو جثة هامدة او رفاتاً. أريد أن أتأكد من وجود ولو قطعة من ملابسه».

أوديت سالم: الدولة تنتظر موتنا لتقفل الملف

الكلام مع اوديت سالم عن ولديها المخطوفين يحرك اشجانها كما قالت، فالموضوع يتكرر اعلامياً ولا يغير من واقع الحال. يكرس الهموم التي لا ترحل. واعصابها لم تعد تحتمل هذا الضغط. وماساة اوديت سالم فظيعة، ربما تعبير الفظاعة دون مستوى ما تعيشه هذه الارملة التي خلا منزلها مرة واحدة من ولديها، اللذين لا تملك في الدنيا غيرهما بعد وفاة زوجها. وهما المهندس المعماري ريشار (22 سنة) والطالبة الجامعية كريستين (19) سنة.

وتقول سالم التي تسكن في المنطقة الغربية من بيروت «ان ابنها كان مع شقيقته في مكتب عمه صباح 17 سبتمبر (ايلول) 1985 وكان من المفترض ان يعود الجميع الى المنزل للغداء عند الثانية ظهراً، موضحة «ان المسافة بين البيت والمكتب لا تستغرق اكثر من ربع ساعة مهما كان ازدحام السير كثيفاً، لكن احداً لم يرجع. عرفت انهم خطفوا. بدأت الاتصال فوراً وعممت اسماءهم على الاحزاب والقوى المسيطرة آنذاك. ذهبت الى ثكنة تابعة لأحد الاحزاب بعد ابلاغي انهم هناك. قابلت المسؤول وسألته عنهم. قال: «نحن لا نخطف ابرياء». بعد ذلك عرفت اوديت انهم اخرجوا المخطوفين من بيروت باتجاه البقاع. وان العم مات بعد شهر نتيجة تقدمه في السن وحاجته الماسة الى عملية جراحية استحال اجراؤها.

وتؤكد سالم ان ولديها ما زالا على قيد الحياة. ففي احد المعارض الفوتوغرافية، خصصت زاوية لأهالي المفقودين، عرضت فيها صورة ابنتي كريستين. توقف احدهم حيالها، وقال لي إنه مرافق لمسؤول كبير يملك معلومات عنها. وبالفعل التقت المسؤول الذي واظب على طمانتي انهما بخير، ولا شيء يجبره على ذلك لانه قال لامراة في حضوري ان شقيقها قتل ولا لزوم للسؤال عنه بعد الآن». وتحرص سالم على ابقاء المنزل في حال تاهب دائمة لاستقبال ولديها، فثيابهما مغسولة ومعطرة مع ان معظمها تخطته الموضة. الا انها لا تجرؤ على التخلص من اي غرض لهما حتى ما يبدو غير نافع، كما تحافظ على سريرهما نظيفين منذ 15 سنة.

وتعتبر سالم انها تحولت الى جهاز بوليس بمفردها واجرت تحريات مكنتها من معرفة اسماء الذي خطفوا ولديها وسلموهما، لكنها لا تستطيع الكلام خوفاً على حياتهما. لا سيما ان الدولة تنتظر ان يموت اهالي المخطوفين جميعاً لتقفل الملف

أم موسى: ليته مات أمام عيني

أم موسى المصري تخاف اكثر من غيرها على مصير ابنها محمود محمد المصري الذي اسرته القوات اللبنانية في 82/9/19. وذلك لانه فلسطيني. لكن هذا الخوف يرتبط ايضاً بالامل. وتقول ام موسى: «ربما أخذته اسرائيل، فهي التي تسجن الفلسطينيين عادة». وتذكر ام موسى ان القوات حضرت الى الحي من الطريق الجديدة (غرب بيروت) بالقرب من مخيم صبرا، ونادت العناصر بمكبرات الصوت على الجميع ان ينزلوا، نزلنا نساء ورجالاً وأولاداً. مشينا فوق جثث القتلى في صبرا وشاتيلا. ووصلنا الى الحاجز الاسرائيلي. صرخ احد الجنود الاسرائيليين بعناصر القوات اللبنانية: لم أحضرتم الجميع، نحن نريد المخربين فقط (اي الفدائيين). وابني لم يكن مخرباً، ومع هذا اقتادوه الى المطار، ومن ثم، الله وحده يعلم مصيره. مرة قال لي احدهم إن ابني في ثكنة للجيش، اعطاني اوصافه، سألته: ماذا كان يرتدي؟ قال: كان يرتدي قميصاً عليه اسم ماركة سيارات وسروالاً كاكياً. وبعد هذه الوصف الدقيق له، لم اعد اتسلم اي دليل حسي على وجوده. لكن ذلك لا يعني انهم قتلوه. املي كبير انهم سلموا الجميع الى اسرائيل».

تشكلت لجنة اهالي المخطوفين، في نوفمبر (تشرين الثاني) 1982، حين طلبت وداد مراد حلواني التي اختطف زوجها في تلك الفترة الى اهالي المفقودين أن يسجلوا اسماءهم في دار الفتوى ببيروت. وضمت اللجنة أصحاب الشأن، ثم بدأت اللقاءات والتنسيق المتواصل، واحتوت اللوائح على حوالي 2400 اسم في المرحلة الاولى. وفي 1983/7/13 شكلت الدولة لجنة استقصاء برئاسة القاضي سامي يونس. وفي 1983/12/11 تشكلت لجنة دار الفتوى لمعرفة مصير المفقودين برئاسة رئيس الوزراء الحالي الدكتور سليم الحص.